— ١٩٦٩ حينما كان العمل الفدائي يشغل بال قوى الامن الاسرائيلية ليلا نهارا ، التي كانت دائمة التنقل فيدوريات بسيارات الجيب والمصفحات نصف المجنزرة او في طائرات الهليوكبتر . واخذت الاشجار تنمو في مواقع ثلاث قرى عربية سويت بالارض في يوم الحادي عشر من يونيو ١٩٦٧ « لاسباب استراتيجية وامنية » . وقد سجل الكاتب الاسرائيلي عاموس كينان قصة هذه القرى الثلاث (بيت نوبا ويالو وعمواس) تسجيلا تاريخيا في كتابه « اسرائيل : نصر مبكّر » . وكان كينان في الجيش في العدوان وارتعب من وحشية الاعمال الاسرائيلية في هذه القرى الثلاث . ويقرا كتابه الكثيرون من العرب ومن الاسرائيليين وخاصة يقراون صرخته ضد العقاب الجماعي . لكن الاسرائيليين يتابعون اقتراف العقاب الجماعي ويستأنفون تهديم البيوت ، بينما يستمر تعرض العرب للخسارة والعذاب والمعاناة المؤلمة . الا ان منطقة اللطرون ، حيث كانت تقع القرى المذكورة ، هادئة الان . ولم يعد يقيم بها عربي واحد . وقد اقتلعت أشجار الزيتون وكروم العنب من جذورها مع البيوت المهدمة . وتحول اهالي القرى الى نازحين في منطقة رام‌الله او في عمان. وقريبا سيقوم هناك ، على الارض العربية التي طالما تغذت من جهد الاجيال العربية ، غابة اسرائيلية تحمل اسم « غابة النصر » .

وفي الطرف الشمالي من شاطىء البحر الميت ، ينتعش عمل الفندق الاردني قرب اريحا بفضل جماعات السياح والزوار الاسرائيليين . لكن مديره يقول انه لم يشاهد ، منذ ١٩٦٧ ، زائرا عربيا واحدا . فان الفلسطينيين الذين كانوا يقضون اجازات اخر الاسبوع في اريحا او في فنادق البحر الميت قبل ١٩٦٧ يفضلون قضاء اجازاتهم في بيوتهم . « لا احد يعرف ماذا يحصل لو ان الناس يعودون الى المجيء الى هنا بعد الاحتلال . فان كل نزهة وكل فرصة قد تنتهي بمعركة او بحادث ». وقبل زيارتي للمنطقة بأسبوع واحد فقط جرحت قنبلة يدوية خمسة ضباط اسرائيليين ، مات اربعة منهم متأثرين بجراحهم .

يبحث الاسرائيليون عن المياه العذبة في المستعمرات الاسرائيلية الجديدة في الضفة الغربية لنهر الاردن، ويستعملون الالات الزراعية الحديثة في الارض العربية التي هدمت قراها او التي اجلي سكانها عنها او التي لم تكن تفلح من قبل . وقد قال لي صحافي اسرائيلي ، ساخرا « لقد منحنا وقف اطلاق النار وانحسار العمليات الفدائية عبر الاردن فرصة لبناء خطوط دفاع هناك حصينة مثل خط بارليف في سيناء ، في وجه اي هجوم عسكري اردني او سوري او عراقي من هذه الجهة . الا اننا لا نتوقع هجوما كهذا على اي حال » . ويجمع سكان الارض المحتلة على قسوة السخرية الاسرائيلية، واكثر ما يؤلمهم بها أنها لا تعدم الاسباب : فقد حصل الاسرائيليون على سلام في جبهة القنال والجبهة الاردنية والجبهة السورية ، بينما تحاول السلطات الاردنية تصفية الفدائيين في الاردن ، بينما يطلق العالم يدهم ليحتلوا وليضموا ما شاءوا من الارض . والصورة قاتمة من كل جوانبها . وقد اعترف لي محام من القدس « ان الوضع بالنسبة لنا تحت الاحتلال ميؤوس منه . وخاصة منذ مذابح الاردن . اننا نحس اننا طعنا من الخلف ، واننا ضحية ابناء امتنا . والحقيقة اننا لا نفهم ما تبغي اليه سلطات الاردن » .ويقول معظم الفلسطينيين الذين قابلتهم ان الفدائيين هم املهم الوحيد وانهم هم وحدهم القادرون على منع الضم والتهويد او على الاقل على منع انجاز الضم والتهويد بدون عناء وفرضه كأمر واقع . ويقول هؤلاء ايضا انهم ضد وقف اطلاق النار. انهم ضد كل ما يعطي الاوضاع في الارض المحتلة صفة طبيعية بالرغم من الوجود الاسرائيلي . الا أنهم يتخوفون من نتائج المذابح الاردنية التي لا بد ان تؤدي الى ترسيخ هذا الوجود الاسرائيلي. وهم يرفضون المزاعم الاردنية بوجوب حصر العمليات الفدائية في داخل فلسطين المحتلة وعدم شنها من وراء نهر الاردن ، ويخشون ان تكون هذه الدعوة تمهيدا لترسيخ الامر الواقع بحدود بين شرقي النهر وغربيه . وهم يدعون السلطات الاردنية ان تتصرف باعتبار امن شرق الاردن وحمايته مربوط بسلامة غربي الاردن . وبالتالي فان تحرير « الضفة الغربية » يتم انطلاقا من الضفة الشرقية وبفضل اعتبار الضفة الشرقية المكان الطبيعي لانشاء قواعد التدريب والتجميع والانطلاق للفدائيين. ويرون انمهمة الجيش الاردني الاساسية انما هي حماية الفدائيين وتغطية عملياتهم ومساعدتهم .

ويزعم الاسرائيليون ان المقاومة انحسرت في القدس